التنصير والاستعمار في إفريقيا بين القرن التاسع عشر والعشرين

د. لخضر بن بوزيد
جامعة بسكرة

الملخص:

الصراع بين الإسلام والمسيحية بدأ مع ظهور الإسلام حيث خاض المسلمون أولى حروبهم مع البيزنطيين في غزوة مؤتة، ثم كانت وقائع الفتوحات الإسلامية، حيث توغل الإسلام في العالم المسيحي في شمال إفريقيا وسوريا بما فيها فلسطين وآسيا الصغرى، ومن المغرب اجتاز المسلمون إلى إسبانيا ومنها إلى فرنسا حيث أوقفهم الفرنجة في معركة بلاط الشهداء (بواتي)، وبعد حوالي أربعة قرون من ذلك شنت أوربا حملات على العالم الإسلامي سميت " الحروب الصليبية "، لم يحقق الأوربيون شيء في تلك الحروب التي دامت قرنين من الزمان .

اتخذ الصراع شكل آخر فقد أرسلت أوربا هذه المرة منصرين بدل من الجنود وكانت عملية التنصير في البداية غير منظمة، لكنها أصبح أكثر تنظيما مع الوقت حيث واكبها ظهور الاستشراق والاستعمار اللذان ساهما بشكل كبير في تطور التنصير، فقد لعب الاستعمار دورا كبير في دعم التنصير مما يخدم مصالحه في العالم الإسلامي، كما أن الاستشراق الذي شكل خطر كبيرا على الإسلام خدم التنصير هو الأخر بحيث مهد الطريق للمبشرين.

لم يحقق المنصرين أهدافهم في العالم الإسلامي رغم الجهود الكبيرة لكنهم مع ذلك نجحوا في مناطق واسعة من إفريقيا جنوب الصحراء وشرق آسيا وجنوبها.

الكلمات المفتاحية: التنصير، إفريقيا، المسيحية، الإسلام، الاستعمار، الاستشراق

Résumé:

L'islam pénètre le monde chrétien dans l'Afrique du nord et la Syrie et l'Asie Mineure. Depuis le Maroc l'islam à dépasser le détroit de Gibraltar vers l'Espagne et ensuite vers la France où il se fut arrêté à Poitiers par les francs.

Après prés de quatre siècle l'Europe a livré la guerre entre l'islam dit " la croisade " mais elle n'est pas atteinte son goal après deux siècles de la guerre.

Le conflit a pris une autre forme l'Europe à envoyer cette fois des missionnaires n'a pas envoyé de troupes. La christianisation qui était dans le commencement n'est pas organisé, elle devenue plus organisé en parallèle avec l'apparition de l'orientation et le colonialisme dans le monde musulman.

Le colonialisme a joué un grand rôle dans le progrès le processus de christianisation, y compris leurs intérêts dans la région, non plus l'orientalisme a formé un Grand danger pour Islam et il fournit des services au christianisme par paver la route pour elle.

Les missionnaires ne pas atteindre leurs objectifs dans le monde musulman malgré les grands efforts, néanmoins elles ont réussi dans les régions d'Afrique subsaharienne et L'Asie orientale et méridionale.

تمهيد:

إن الصدام بين الإسلام والمسيحية قد بدأ منذ عهد النبوة فقد كان الروم يؤلبون القبائل العربية ضد المسلمين، وهو ما أدى بالرسول صلى الله عليه وسلم لمواجهتهم في "معركة مؤتة" في العام الثامن للهجرة، وقبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد عقد لواء لأسامة بن زيد من أجل قتالهم، وقد أضعفتهم الفتوحات الإسلامية بشكل كبير فحاولوا استرجاع أملاكهم في الشرق بالحروب الصليبية وعند فشلهم، اهتدوا إلى خطط جديدة وذلك بإرسال منصرين بدلا من الجنود ومحاولة نشر المسيحية بكل الطرق بين المسلمين وفي المناطق القريبة من أراضيهم وخاصة في إفريقيا، فتحولت العديد من المناطق في إفريقيا إلى ساحة حرب ضد الإسلام لا يستعمل فيها السلاح إلا قليل بينما كانت هناك وسائل أخرى أكثر فائدة لهم .

ولعلهم كانوا يريدون حصار العالم الإسلامي بالمسيحية فقد أرسلوا المنصرين إلى اليابان والصين والهند وروسيا، وتركز اهتمامهم خلال القرن التاسع عشر على إفريقيا جنوب الصحراء لإدخال أهل تلك البلاد في المسيحية، ولم تسلم منهم البلاد الإسلامية فقد توغلوا في كل مكان مستغلين الحركة الاستعمارية، فقد كان الرهبان يسيرون في ركاب الجنود، ونحن في هذه الورقة نحاول تسليط الضوء على التنصير والمنصرين ونهدف إلى التعرف إلى الوسائل التي اتبعوها، وفي هذا الإطار وجب علينا الإجابة على عدة تساؤلات، منها: ماهي جذور التنصير؟ وماهي وسائله وأسلحته؟ وما علاقة التنصير بالاستعمار، وهل استطاع المنصرون تحقيق أهدافهم؟

أولا: مفهوم التنصير وجذوره:

1- مفهوم التنصير:

التنصير مرادفا للتبشير والتَّنَصُّرُ في اللغة هو الدخول في النَّصْرانية، ونَصَّرَه بتشديد الصاد: جعله نصرانِيّاً، وفي الحديث النبوي عن ابي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم« كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه أَوْ يُنَصِّرَانِه أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » صحيح البخاري، الجزء 2، كتاب 23، رقم 441.

ونّصر فلان أي وقف إلى جانبه ومنه قوله تعالى **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ... ﴾** سورة الصف، الآية 14.

التَّنَصُّرُ اصطلاحا: هو حركة دينية سياسية استعمارية تبذل قصارى جهدها لتبديل دين البشرية إلى المسيحية . ولعل كلمة التنصير إنما جاءت من كلمة النصارى وهم المسيحيون أي أنصار النبي عيسى عليه السلام، مقابل اليهود الذين كذّبوا نبي الله عيسى، ومنه قوله تعالى **﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ ...﴾** سورة آل عمران الآية 52.

أما التبشير لغة فمن البشارة والبشرى وتستعمل في الخبر الحسن والسيئ كالوعيد وقد جاءت في أكثر من موضع في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى **﴿ ... بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ...﴾** سورة الانشقاق الآية 24، أما اصطلاحا فهو نشر الدين المسيحي، والأصح أن تطلق كلمة التنصير بدل التبشير لما لكلمة التبشير من معنى حسن بينما هم إنما يدعون إلى الضلال .

2- جذور التنصير:

غالب الضن أن التنصير قد ظهر منذ زمن بعيد وهناك اختلاف بين الباحثين بين من هو أول من دعى إلى تنصير المسلمين فقد قيل إنه "ريمون لول" بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها [1]، وقيل إنه "بطرس المبجل" وهو رئيس "دير كلوني" الذي تبنى فكرة ترجمة القرآن الكريم لأول مرة، حيث ترجمه الانجليزي "روبرت كتون" إلى اللاتينية سنة 1143م وقد كانت جزء من مخطط عام لتنصير المسلمين، وذلك من خلال التشكيك في معتقداتهم بالوسائل الثقافية بدل من قوة السلاح، ومما نقل عنه أنه قال: « إني لا أهاجمكم كما يفعل كثيرون بيننا بالسلاح، إني أوجه إليكم كلمات فقط بغير عنف وبتعقل وهدوء من غير كراهية بحب كبير » [2].

وفي عام 1154 أسس راهب صليبي رهبنة عرفت باسم "الرهبنة الكرملية" نسبة لجبل الكرمل وكانت أولى المؤسسات التي تشرف على التنصير وبعد ذلك انتشر الرهبان في أنحاء سوريا ولبنان، ثم توالت بعثات الأساقفة "الفرانسيسكان" و"الدومينيكان" وقد كتب أحد الأساقفة "الدومينيكان" وهو " وليم الطرابلسي " سنة 1270: « إننا نريد مرسلين ولا نريد جنود لاسترداد الارض المقدسة » [3] .

ومن جهة أخرى ذكر "إدوين بلس" وهو مؤلف كتاب «ملخص تاريخ البشر»: أن "ريمون لولرف" الاسباني هو أول من تولى التنصير بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها، حيث تعلم اللغة العربية وجال في بلاد الاسلام.

مع العلم أن التنصير في البداية لم يكن منظم بل كان يتم بشكل فردي أو بمجموعات صغيرة من المنصرين لكن ومنذ بداية القرن الثامن عشر ظهرت الجمعيات التي تنظم عملية التنصير وترسل الإرساليات إلى مناطق مختلفة وكان الاتجاه في البداية نحو الهند وجاوة، ففي سنة 1664 حض البارون "دويتز" على تأسيس مدرسة تكون قاعدة لتخريج المبشرين بعد تعليمهم أصول التبشير ووسائله، ثم توالت بعد ذلك الإرساليات التبشيرية التي انطلقت من الدنمارك وإنجلترا وهولندا وكان تحضي بدعم الملوك والأمراء، وتزايدت بشكل كبير عمليات التبشير خاصة في الهند وجاوة وتم تأسيس جمعية لندن التبشيرية سنة 1795 ثم تأسست جمعيات مماثلة في اسكتلندا وفي نيويورك وألمانيا والدنمارك وهولندا والسويد والنرويج وسويسرا ...

وبدأ الاهتمام بإفريقيا في ذلك الوقت [4]، وفي سنة 1855 تألفت جمعية الشبان المتطوعين للتنصير في البلاد الأجنبية وظهرت جمعيات مختلفة تهدف للتوجه لأفريقيا، ولان الإسلام كان منتشر هناك على نطاق واسع، لذلك توجهت الكنيسة بجهودها للقضاء على الوجود الإسلامي هناك، فقد ذكر" إدوين بلس" أن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير في إفريقيا والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا[5] .

وقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر صراعا محموما بين مختلف الكنائس من أجل التنصير، وكان أكثرها نشاطا هي الكنيسة البروتستانتية بفضل نشاط مبشرين ألمان وإنجليز وأمريكان وكنديين وبفضل الدعم المالي الكبير الذي كانوا يحصلون عليه، بالإضافة إلى وقوف إنجلترا وهولندا وألمانيا إلى جانبهم.

وقد تأسست الكثير من الجمعيات في ذلك الوقت منها: جمعية التبشير في أرض التوراة العثمانية وجمعية الشبان المسيحيين وهم من الانجليز والأمريكان في سنة 1855، وجمعية الشبان المتطوعين للتبشير في البلاد الأجنبية، وجمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم التي تأسست سنة 1895 [6] .

ثانيا: الصراع بين الإسلام والمسيحية في إفريقيا:

1- انتشار الإسلام في إفريقيا:

انتشر الإسلام في إفريقيا عن طريق القوافل التجارية عبر ممرات الصحراء، كما قامت دولة المرابطين بدور كبير في نشر الإسلام في غرب افريقيا[7]، وانتشر الإسلام أيضا عن طريق الممالك التي ظهرت في إفريقيا مثل: "مملكة غانا" [8]، و"مالي" [9]، وإمبراطورية "صونغاي" [10] في غرب إفريقيا، وممالك "كانم" [11] وما جاورها في إقليم بحيرة تشاد [12]، كما أنطلق التجار المسلمون من مصر عبر البحر الأحمر إلى الصومال وتوغلوا في شرق إفريقيا، ووصل الإسلام أيضا إلى شرق إفريقيا ووسطها عن طريق التجار القادمين من

جزيرة العرب، وشهدت بعض المناطق في غرب إفريقيا قيام مجتمعات إسلامية مزدهرة ثقافيا فأصبحت تعج بالعلماء، وكانت "تمبكتو" مدينة العلم غير أنها فقدت بريقها بعد غزو السعديين المغاربة للمنطقة سنة 1591م في عهد المنصور الذهبي، ظهرت بعد ذلك حركات إصلاحية دينية قادها علماء وتأسست نتيجة لذلك كيانات سياسية تزامن ظهورها مع بداية التوغل الاستعماري في إفريقيا .

وقد يكون السبب في ظهور تلك الحركات الإصلاحية هو العادات الوثنية التي ظلت موجودة في مناطق مختلفة إلى جانب الأطماع الاستعمارية في المنطقة، الطرق الصوفية هي الأخرى انتشرت في إفريقيا وكان مصدرها في الغالب من شمال إفريقيا، وكان لبعض علماء الصوفية دور كبير في مقاومة التوغل الاستعماري في إفريقيا.

2- **حركات التنصير في إفريقيا:**

دخل المبشرون إلى إفريقيا منذ القرن 15 أثناء الكشوفات البرتغالية وبعد ذلك بفترة أخذت ترد إليها البعثات التبشيرية البروتستانتية الانجليزية والألمانية، أما غرب إفريقيا فلم تهتم بها الكنيسة البروتستانتية إلا منذ 1804 ومنذ ذلك التاريخ بدأت تحارب الإسلام في منطقة النيجر الغربية على حد تعبير شاتليه [13].

أما بالنسبة لإفريقيا الشرقية ففي سنة 1819 اتفقت الكنيسة البروتستانتية مع الأقباط في مصر من أجل إرسال بعثات إلى الحبشة، وبعد ذلك أخذت تتوالى البعثات السويدية والإنجليزية حتى وصلت إلى مدينة "ممباسا" بكينيا، وعقب اتساع مناطق الاستعمار الألماني تعززت الإرساليات التبشيرية، كما أن الرهبان البيض الفرنسيون الذين يقودهم "لافيجري"[14] وصلوا إلى أوغندا، أما بالنسبة لإفريقيا الوسطى فقد قامت بالتبشير هناك بعثة "لفنستون وستانلي" سنة *1978، ثم بعد ذلك تقاسمت البعثات الألمانية والاسكتلندية والانجليزية المنطقة الممتدة من شرق إفريقيا ووسطها حتى الخرطوم والحبشة، أما مدغشقر فقد كانت من نصيب البروتستانت.

أما بلاد المغرب فقد تكفل بها مبشرون أرسلهم جمعية تبشير شمال إفريقيا ومنهم مبشرون وأطباء تابعين لهم، وقد قام حاكم الجزائر بدعم الأسقف "هرتزل" في عمله التبشيري [15]، ويقول "صمويل زويمر" الذي يعتبر منظرا للتبشير أن قارة إفريقيا توجد فيها مجال فسيح للتبشير، وأن مسافة واقعة على مئة ميل من الشاطئ يزيد سكانها عن 50 مليون لم تنتشر فيها المسيحية بعد[16] .

ولقد كانت الكنيسة من اكبر المؤيدين للحملة على الجزائر التي قادها "شارل العاشر" حيث حمل الرهبان الصليب وأصبحوا جنود في الحملة، ومنذ الوهلة الأولى لنزول الفرنسين للجزائر نقضوا معاهدة الاستسلام [17]التي وقعها معهم "الداي حسين"، إذ لم يمض شهران فقط على هذا التعهد الغادر حتى

أصدر "دوبرمون" قائد الحملة مرسوماً في 8 سبتمبر 1830م يقضي بمصادرة الأوقاف الإسلامية والاستيلاء عليها، ثم تلت ذلك إجراءات عديدة في إطار الحرب على الدين واللغة والتاريخ، حيث حولوا بعض المساجد إلى كنائس منها "مسجد كتشاوة"، وقد ارتكب الجنرال "روفيغو" جريمة كبيرة فلم يكتفي بتحويل المسجد إلى كنيسة بل قتل فيه أكثر من أربعة آلاف مسلم وهم يصلون، ولم يتورع عن القول بأنه فخور بهذه النتائج، فقد صرح بأنه لأول مرة تثبت الكنسية في بلاد البربر[18].

وبعد مرور اقل من 15 سنة من احتلال الجزائر تأسست الجمعية الأدبية الدينية للقديس "أوغسطين" عام 1844م، وكان من أهدافها تنصير المسلمين ومواجهة التأثير الإسلامي على بعض الأوروبيين وبعث الثقافة الدينية النصرانية بالجزائر عن طريق إحياء كتابات القديس "أوغسطين" والقديس "سبريان..."، وقد استغل المنصرون أوضاع المجتمع الجزائري فقام "الأب بريمولت" بإنشاء مركز للأطفال المشردين ببوفاريك وآخر بابن عكنون سنة 1843م، وقد بلغ عدد الأطفال بمركز ابن عكنون 317 طفلاً فقيراً ويتيماً، وعندما انتشر مرض الكوليرا في الجزائر قام البارون "أوغسطين دوفيالار" بمحاولة نشر المسيحية متسترا بأعماله الخيرية .

وقد كان "الأسقف ديبيش" متحمساً لإحياء الكنيسة الإفريقية، فقد رسم لذلك خطة تعتمد على بندين: العمل الخيري من جهة وإثارة العنصرية والنعرات من جهة أخرى، وقد عبر عن ذلك بقوله: يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي بأن نعرفهم بدين أجدادهم الأولين من خلال الخدمات الخيرية...، واستغل- كما هو عادة المنصرين- حالة الفقر التي عاشها الشعب الجزائري، ونشير هنا إلى أن حركة التنصير تركزت خصوص في منطقة القبائل لأغراض محددة وذلك منذ إنشاء نظام الآباء البيض على يد الكاردينال "لافيجري" وقد كان هذا الأخير أكثر المنصرين تحمسا فقد صرح عند وصوله إلى الجزائر: « إن الجزائر باب مفتوح بيد العناية الإلهية على قارة متوحشة يعيش عليها مليونان من النفوس »[19].

ونظرا لموقع الجزائر المهم كبوابة لإفريقيا فقد أسرع الاستعمار لتأمين الصحراء، ذلك لفتح الطريق أمام المبشرين الذين يقصدون إفريقيا السوداء، وقد تعاونت الكنيسة والسلطة الاستعمارية من أجل تنفيذه هذا الهدف المشترك، ففي سنة 1876 أرسلت الكنيسة ثلاثة من المبشرين هم الآباء "يوليمي" و"موريه " و"بوشاند" إلى تومبكتو لكنهم لم يصلوا إليها حيث قتلوا في القليعة من طرف الطوارق، لكن حركة الآباء البيض لم تستسلم وواصلت إرسال المبشرين فقد كلف "الكاردينال لافيجري" [20]رئيس البعثة الدينية في "ورقلة" وهو "الأب ريتشارد" أن يذهب ليستقر في "غدامس" فاستطاع هذا الأخير التجوال في بلاد الطوارق دون أن يتعرض للأذى وكان يقدم المساعدات للطوارق من أجل تقريبهم للمسيحية، لكن ما حدث لبعثة فلاتير من مذبحة كان

كفيلا بتقليص رغبة المبشرين في الذهاب إلى بلاد الطوارق.

ومع ذلك ورغم هذه الحادثة فقد قرر "الأب رتشارد" مدفوعا بنجاحه السابق في الذهاب إلى بلاد الطوارق فتوجه إلى غات واصطحب معه اثنين من القساوسة، لكنه ما كاد يصلها حتى قتل هو ورفاقه، وكان الأب "شارل دو فوكو" وهو خريج "مدرسة سننسير" الدينية قد قصد بلاد الطوارق واستقر في مدينة بني عباس سنة 1903، وبعد سنتين توجه إلى الاهقار في بعثة علمية وكان يتقرب إلى السكان مثلما يقول لإزالة ما في نفوس أبنائهم من شك وسوء الضن، وأن يثبت لهم أننا نحبهم ونريد إقامة علاقة أخوة معهم، وفي فترة لاحقة بنى دير في إحدى قمم الاهقار وهي المعروفة باسم "أسكرام "، وكان يتقرب من الأطفال خصوصا لجذبهم للمسيحية فقد ذكر: أنه بواسطة الأطفال ندخل نفوس الآباء... فبعد عشرة سنوات سيكبر الأطفال وينمو معهم الولاء لأفكارنا، ونجد أن هذه القبيلة قد انحازت إلى صفنا »، وقد كون علاقات مع زعماء التوارق ومنهم الامنوكال "موسى أق أماستان" وكان يحضر إجتماعاتهم القبلية، وقد انتهت حياته قتلا في 01 ديسمبر 1916 في المنطقة خلال إحدى الثورات [21].

والمعلوم أن كبار منظري التنصير يعتقدون أن الإسلام هو عقبة كبيرة في وجده مخططاتهم التنصيرية في إفريقيا حيث يذكر " إدوارد بلس": « إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم النصرانية في إفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا، خصمنا هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في إفريقيا، فالشيخ السنوسي هو العدو اللدود لنفوذ الفرنسي والانجليزي، كما أن المهدي قد حارب الانجليز في السودان، والمغاربة لا تزال تدور في خلدهم فكرة الجهاد »، بينما يذكر شاتليه إن الملحمة الكبرى بين الإسلام والمسيحية قد تكون في غرب إفريقيا أو في شمالها .[22]

والملاحظ اليوم الخارطة الدينية في إفريقيا قد تغيرت فبعد ما كان الإسلام سائد في أنحاء مختلفة منها إلى جانب الديانات الوثنية والروحانية التي كانت منتشرة في شرق ووسط وجنوب إفريقيا، أصبحت المسيحية هي الأكثر انتشاراً وحلت محل الديانات التقليدية الإفريقية التي تقلصت بشكل كبير بينما لم يتوسع الإسلام في إفريقيا، ولا شك أن ذلك يعود إلى حملات التبشير التي واكبت الاستعمار.

ثالثا: الوسائل التي استعملها المنصرون:

استغل المنصرون عدة وسائل كما استغلوا حاجات الناس وعوزهم في سبيل نشر المسيحية، فقد كانوا يساومون الناس على رغيف الخبز وعملوا على استغلال آلام المرضى فمنحوهم الدواء مقابل دخولهم في المسيحية، وكانوا يظهرون الرحمة والشفقة على الضعفاء فيقدمون لهم العلاج والطعام ولكن يقدمون معه الإنجيل، كما أنهم كانوا لا ييأسون من محاولاتهم بشتى الطرق والوسائل، فربما لجأوا لإشعال الحرب والفتن لتفتح لهم الأبواب، والمستشرقين والرحالة الذين

كانوا جواسيس لصالح الدول الاستعمارية كانوا أيضا عونا لهم، كما كان الاستعمار بدوره عونا لهم في مخططاتهم، وهم كانوا بالمقابل أدواته للتغلغل والسيطرة على الشعوب، ومن أهم وسائل التنصير: الجمعيات والمعاهد والارساليات، كما أنشأوا مدراس ومستشفيات ...

1- إنشاء جامعات ومعاهد:

لاحظ المبشرون أن مؤسسات إسلامية على غرار الأزهر تمثل عقبة كبيرة في وجها التنصير لما لها من نفوذ بين المسلمين، لذلك تمت الدعوة لإنشاء جامعة بتمويل من الكنيسة تتكفل بتعليم اللغة العربية للمبشرين [23]، ومنذ ذلك الحين ظهرت الكثير من الجامعات والمعاهد المسيحية في أنحاء من العالم، وقد كانت جمعية لندن التبشرية هي أولى الجامعات وقد تأسست سنة 1795، ثم بعثة الجامعات التبشيرية في وسط أفريقيا سنة 1861، وجمعية باريس التبشيرية سنة 1828، وجمعية الآباء البيض سنة 1868[24]

2- إرساليات التبشير الطبية:

يذكر "شاتليه" عنها أنها وسيلة ناجحة جداً ويجب الإكثار منها، لأن الأطباء هم الأكثر احتكاك بالسكان فقد أورد المستر هاربر في مؤتمر القاهرة للمبشرين 1906 الكثير من القصص عن أشخاص تمت معالجتهم في المستشفيات ثم دخلوا بعد ذلك في المسيحية، وقال بأنها وسيلة ناجعة في التبشير، وقد قدم "صمويل زويمر" نصائح للمبشرين في كتابه " العالم الإسلامي اليوم " ومما ننقله عنه: « يجب إقناع المسلمين أن النصارى ليسوا أعداء لهم ... وانه يجب نشر الكتاب القدس بلغات المسلمين ... ويجب أن يكون المبشرين من بني جلدتهم لان الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضاءها » [25].

وإلى جانب إرساليات التبشير الطبية كانوا يقدمون مساعدات فقد أظهر "الأب رتشارد" الذي كان يتحدث العربية جيد براعة في التقرب من الطوارق فقد قام بتوزيع مواد غذائية عليهم وكسب صداقتهم وكان يتجول معهم في "غدامس" و"غات" (وهي مدن صحراوية تقع في جنوب غرب ليبيا عند الحدود مع الجزائر)، وبعد أن تقرب منهم قرر أن الخطوة التالية هي إرسال بعثات تبشيرية [26].

3- أموال طائلة تستخدم في التبشير:

ذكر "شاتليه "وفق لمستندات "مؤتمر إدنبرج" مبالغ خيالية تنفقها الكنيسة على عمليات التبشير فجمعيات التبشير الإنجليزية والايرلندية أنفقت 2100000 جنيه في السنة سنة 1902 وهي تحصل على هذه الأموال من مصادر شتى، فقد بلغ مقدار ما حصلت عليه جمعيات التبشير الإنجليزية والايرلندية حوالى60مليون وخمسمائة ألف فرنك، أما الجمعيات الأمريكية والكندية

فقد حصلت على 67 مليون فرنك في السنة، والجمعيات الإفريقية على 7 ملايين ومائتين ألف فرنك، والجمعيات الأخرى على 20مليون ومائة ألف فرنك كلها في سنة واحدة [27] .

4- **عقد المؤتمرات:**

كان الأوربيون يعقدون باستمرار المؤتمرات التي يتدارسون فيها السبل الكفيلة بنشر المسيحية في البلاد الإسلامية لأنه لا توجد عقبة لديهم في سواها من البلدان، ومن حين لأخر ينشر كبار القساوسة كتب يحددون بها أهم الوسائل التي يجب على الرهبان إتباعها في سبيل نجاح التنصير في البلاد الإسلامية فقد نشر "القسيس فلامينغ" كتاب ذكر فيه سبل ووسائل التبشير، ومن بين ما ذكره ضرورة إتقان المبشرين للغة العربية ومعرفة العادات التقاليد في كل البلدان.

والهدف من عقد المؤتمرات هو تدارس السبل الكفيلة بالتنصير فمؤتمر "إدنبرج" السابق الذكر أقر تعليم المبشرين لغة البلاد الإسلامية بإنشاء مدارس تبشيرية لهذا الغرض، أما مؤتمر سنة 1924 فقد أقر ضرورة تخريج المبشرين في اللغات وفي العلوم الإسلامية... [28]، وكان "صمويل زويمر" رئيس إرسالية التبشير في البحرين هو أول من فكر في عقد مؤتمر للمبشرين، ففي 04 أفريل 1906 عقد المؤتمر في القاهرة وكان تحت رئاسته [29] وتوالت المؤتمرات في اسكتلندا 1910، والهند 1911 وغيرها لكن أهمها كان مؤتمري "لوزان" 1974 و"كلورادو" 1978، وكان المبشرون يختارون كل الطرق المؤدية إلى نشر المسيحية ويجمعون الأموال اللازمة لذلك .

وفي هذا الإطار يقول زعيم التنصير زويمر[30]: «لقد جربنا الدعوة إلى النصرانية بكل الطرق في كل أنحاء العالم الإسلامي، إن تجاربي تخولني أن أقول إن الطريقة التي سرنا عليها لا تؤدي إلى نتيجة فقد صرفنا من الوقت الكثير ومن الذهب القناطير...، والذي نحاوله من نقل المسلمين إلى النصرانية أشبه باللعب منه بالجد ...، قبل أن نبني النصرانية في نفوس المسلمين يجب أن نهدم الإسلام في نفوسهم أولا ...، إن هدم الإسلام يعني هدم الدين على العموم وهي خطة مخالفة لما ندعو إليه إنها خطة إلحاد ولكن لا سبيل إلى تخليص المسلمين من الإسلام غير هذا السبيل » [31].

5- **المرأة:**

تمثل المرأة أهمية كبيرة في المجتمعات الإسلامية وقد أدركت الكنيسة ذلك الأمر فسعت للتقرب منها بمختلف الأساليب وتدعوها إلى التحرر من قيود التقاليد وتبين لها أنها مظلومة في الإسلام وتشجع الكنيسة كل الأفكار التي تجعل المرأة تنسلخ عن العادات والتقاليد الإسلامية لتكون متحضرة فيسهل إغراؤها بالدخول في المسيحة أو على الأقل حملها على أن تساهم في تغير المجتمعات الإسلامية، فكلما ابتعد المسلمون عن دينهم كان ذلك في مصلحة الكنيسة .

لذلك فقد قامت العديد من الجمعيات التبشيرية بجمع أموال من أمريكا ومن غيرها من أجل تحسين أوضاع المرأة الشرقية والتقرب إليها [32] .

6- تربية الأطفال:

كانت الارساليات المسيحية تشرف على الآلاف من المدارس، وللمدرسة أهمية كبيرة في إعداد جيل مشبع بالأفكار المسيحية، فقد ذكر المبشر هنري حبيب: « إن التعليم إنما هو واسطة لتحقيق أهداف الإرساليات المسيحية، وهي قيادة الناس إلى المسيح، وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية... »[33]، وقد بلغ عدد المدارس اللاهوتية 81 مدرسة وعدد الثانويات بلغ 1594، أما عدد المدارس الابتدائية فقد بلغ 28901 وكل هذه الاحصائيات التي قدمها صاحب كتاب الإغارة على العالم الإسلامي تخص سنة 1902 فقط ولنا أن نتصور عددها في هذا الوقت .

وفي هذه المدارس تقوم البعثات التنصيرية بتربية الأطفال كما تقوم بذلك في ملاجئ الأيتام التي تشرف عليها، بل إنه في بعض الأحيان تقوم البعثات الكنسية بتوقيع عقد مع العائلات الفقيرة كما حدث في السنغال تقدم بموجبه هذه البعثات كمية ضئيلة من الأرز شهريا وتشترط أن تأخذ طفل من العائلة وتقوم بتربيته في المدارس التنصيرية، وعندما يكبر تقوم بإرساله إلى فرنسا لكي يكمل دراسته العليا، وتضع الإرساليات بندا في العقد أنه إذا أرادت الأسرة استرجاع ابنها فعليها دفع مبلغ المساعدات وكذلك النفقات التي صرفت على ذلك الصبي وهو مالا تستطيع دفعه الأسر الفقيرة في السنغال، فيعود الطفل إلى بلاده وقد أصبح شابا مسيحيا ما يلبث بطريقة أو بأخرى أن يصبح فعالا في المجتمع وبذلك تتمكن فرنسا من العودة إلى البلاد حتى بعد استقلالها [34].

7- استغلال الظروف الصعبة للمجتمعات:

إن البيئة المناسبة لعملية التبشير هي دوما البيئة الفقيرة التي تعج بالجهل والفقر والحروب والتخلف والبطالة حيث يكون الناس يائسين فهي المكان الخصب لنشر أفكاره، لذلك يقوم المبشرون بالأعمال الخيرية من قبيل تقديم الخدمات الطبية ومساعدات عينة ونقدية للفقراء وينشرون بينهم المسيحية ويقدمون لهم الأناجيل .

ففي سنة 1867 غزا الجفاف والمجاعة والجراد الجزائر وأصابها الطاعون وعمت فيها المجاعات فأغتنم المبشرون الفرصة وأصبحوا يساومون الناس على لقمة العيش، ومع ذلك لم يدخل مسلم واحد في المسيحية، مما حدا بالمؤرخ "فليكس قوتي" إلى القول بأن الديانتين المسيحية والإسلام يفصل بينهما حاجز لا يمكن تجاوزه، وربما لا يوجد مسلم واحد يسمح لنفسه بأن يصبح مسيحيا بإيمان صادق [35] .

وقد قدّمت كنيسة "كليفلاند" بالولايات المتحدة الأمريكية دليلا متكونا من سبع وثلاثين نصيحة للعاملين أو الراغبين في العمل في ميدان التنصير بالجزائر هي النصائح السبع والثلاثون للمنصرين في الجزائر وشمال إفريقيا.

8- **نشر الأفكار الهدامة في المجتمعات الإسلامية:**

بدافع نشر التطور والحضارة فقد نشروا الأفكار الهدامة من قبيل حرية العلاقات الجنسية، وتحرر المرأة، ونشر الرذيلة والفساد بين الشباب، وإثارة الشبهات حول الإسلام وتعاليمه مثل تعدد الزوجات، الحجاب، والربا، المرأة ...، وتشجيع تحديد النسل حتى يقل عدد المسلمين، والتشكيك في المعتقدات الإسلامية، ومناقشة حقوق الإنسان خاصة المرأة، وإيهام المسلمين أنهم أصدقاء لهم وأنهم لا توجد عداوة بينهم وبين الإسلام وقد كان للمستشرقين دورا كبيرا في ذلك.

9- **استخدام الوسائل الحديثة:**

شرعت الكنسية بما لها من إمكانيات في طبع الأناجيل والكتب الدينية منذ البداية فقد كانت تملك مطبعة في قبرص ونقلتها إلى مصر، وظلت مواكبة دوما للتطورات العلمية وعند ظهور الإذاعة والتلفزيون أصبحت تملك الآلاف بين محطات الإذاعة والتلفزيون، وفي الآونة الأخيرة أصبحت تستعمل الانترنت والمواقع الاجتماعية بكثافة.

رابعا: علاقة التنصير بالاستعمار:

يقول المؤرخ "جورنفيل" الذي رافق الملك "لويس التاسع" في حملته على مصر إن خلوة الملك في معتقله في المنصورة أتاحت له الفرصة ليفكر بعمق في السياسة التي يجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين، واهتدى إلى تلك الخطط التي أفضى بها إلى أعوانه أثناء رحلته إلى عكا، وقد حصرها الباحث عبد الرحمان عميرة في ثلاثة نقاط:

- التحول إلى حملات صليبية سلمية عن طريق المبشرين
- العمل على إغراء مسيحي الشرق من أجل تنفيد طموحات الكنيسة الغربية
- العمل على إنشاء قاعدة في قلب العالم الإسلامي تكون نقطة ارتكاز للوثوب على الإسلام وحدد لها موقعها بين غزة والإسكندرية[36].

ولقد عملت الدول الاستعمارية الكبرى على دعم التنصير رغم أن معظم تلك الدول كانت علمانية، والكثير من الساسة الأوربيين كانوا ملحدين، ولنا أن نتصور مقدار العداء الموجه ضد الكنيسة في فرنسا، فقد كان شعار الثورة الفرنسية " اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس " ومع

ذلك فإن التعاون كان وثيق بين الكنيسة وفرنسا من أجل السيطرة على الجزائر التي ستفتح المجال لإستعمار إفريقيا كلها، وكذلك إيطاليا التي حجزت بابا الكنيسة في الفاتيكان كانت تبني جميع سياساتها الاستعمارية على جهود الرهبان والمنصرين، حتى روسيا السوفيتية حين أرادت أن تحقق لنفوذها توسعا إقليميا وسياسيا تظاهرت بالعطف على رجال الدين ودعت إلى مجمع مسكوني في موسكو وحملت إليه المؤتمرين بطائراتها، ثم شرف ستالين نفسه أولئك المؤتمرين بمقابلته، وكثير ما كان الحكام الانجليز يحثون حكوماتهم على نشر المنصرين في العالم، كما نصح الجنرال "هايغ" الحكومة البريطانية أن ترسل منصريها إلى شبه الجزيرة العربية [37].

ومما يدل على الرعاية الرسمية للدول للتنصير أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفلت كان مقرر أن يحضر "مؤتمر إدنبرغ" لكنه اعتذر[38]، كما أن هذا المؤتمر قد شهد حضور "اللورد بلفور" صاحب الوعد المشؤوم وكالذي كان رئيسا شرفيا له، وقد صرح: « إن المنصرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة ولولاهم لتعذر علينا أن نقاوم كثير من العقبات »، ومما ذكر في هذا المؤتمر أن الحكومة الهولندية كانت تسهل عمل المنصرين وتقدم لهم رواتب، كما تفعل الحكومة البريطانية في الهند .

وخلال المؤتمر الاستعماري الألماني الذي كان يعنى بالشؤون الاقتصادية أجمع المؤتمرين على ضرورة أن تضم الأعمال الدينية في خدمة الاستعمار، حيث ذكر" شنكال" وهو رئيس غرفة الصناعة إن نمو ثروة الاستعمار متوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون للمستعمرات وأهم وسيلة للحصول على أمنيتنا هي إدخال الدين المسيحي إلى المستعمرات [39].

خامسا: علاقة التبشير بالاستشراق:

1- الاستشراق مفهومه ودوافعه:

إن أول المستشرقين قد يكون الراهب الفرنسي "جربرت" الذي أنتخب بابا لروما سنة 999م بعد تعلمه في معاهد الأندلس، ثم "بطرس المحترم" 1092- 1156 و"جيراردي كريمون" 1114- 1187م [40]، وهناك أراء أخرى ترجح أن نشأة الاستشراق تعود إلى سنة 1312م، وذلك في مؤتمر أقامته السلطة الكنسية العالمية في فيننا، حين توصَّل المشاركون إلى التشجيع على تعليم اللغات الشرقية وثقافاتها ودياناتها وعلى رأسها اللغة العربية وآدابها، وبدأ هذا المشروع في جامعات أوروبية معيَّنة أمثال باريس وأكسفورد وبولونيا [41]، ولكن من المتُفق عليه إلى حد كبير بين الباحثين- خاصة الغربيين أن الاستشراق اللاهوتي الرسمي قد بدأ وجوده حين صدور قرار "مجمع فيينا الكنسي" سنة 1312، وذلك بإنشاء عدد من كراسي الأستاذية في العربية والعبرية في جامعات باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وأفينيون" [42].

ومن المؤكد أن دراسة الشرق العربي المسلم جاءت بقرار كنسي ونتيجة من نتائج الحروب الصليبية التي كانت أيضاً بقرار ديني، وقد تنوَّعت أنماط ومناهج الاستشراق الديني، وأهم المستشرقين في العصور الوسطى "يوحنا الدمشقي" (680 - 750 م)، و"ريموند لول" (1235 - 1316 م)، و"بطرس المعظم"، وكل واحد منهم يمثِّل مرحلة مهمة على صعيد دراسة الشرق والإسلام، الأول هو أول من دخلَ في مجادلات مع المسلمين، والثاني أمر بانجاز أوَّل تُرجمة لاتينية للقرآن الكريم عام 1143م في "دير كلوني" في جنوب فرنسا[43]، وارتبط الثالث بإقرار "مجمع فيينا الكنسي" إنشاء كَراسي لدراسة اللغة العربية في كلٍّ من باريس وبولونيا في عام 1312م.

وكان هدف المستشرقين دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية، لخدمة أغراض التبشير وخدمة أعراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام، ومع ذلك فانه ليس جميع المستشرقين قد خدم أغراض التبشير أو الاستعمار[44] بل هناك منهم من كان غرضه العلم وهناك من أسلم [45] .

ويعد الدافع الديني هو أهم دافع للمستشرقين وفق ما يذكر "مصطفى السباعي" فقد كان هدفهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه قد وصفوا المسلمين باللصوص وسفاكو الدماء وأن سعيهم إنما هو لإرضاء ملذاتهم الجسدية فدافعهم الرئيسي هو الدافع الديني، والدافع الثاني هو التبشير الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية، والكثير منهم هم من رجال دين فهدفهم إدخال الوهن في قلوب المسلمين من دينهم وتاريخهم وتراثهم والتشكيك في مبادئهم وعقائدهم وحضارتهم لسلخ المسلمين عن دينهم، وهناك أيضا الدافع التجاري للترويج لبضاعتهم والحصول على امتيازات ومكاسب اقتصادية .

أما الدافع السياسي فقد يكون هو الأخطر حيث أنه وبعد استقلال كل الدول الإسلامية فان الأوربيون ظلوا على اتصال بالمفكرين والقادة السياسيين والصحافيين عن طريق الندوات والحفلات التي يقيمونها حيث أن السفارات أصبحت تضم ملحقين ثقافيين بحيث تعرف كل خبايا البلد، وأخيرا هناك الدافع العلمي بالنسبة للذين لم يشتركوا في مخططات الكنيسة والاستعمار فإن دافعهم علميا بحت وقد بذلوا قصارا جهدهم في فهرسة المخططات والكتب وهؤلاء استفادت منهم الدول الإسلامية حيث كان تأثيرهم إيجابيا [46].

وهناك الدافع الاستعماري فقد اتجه المستشرقون للتعرف على البلاد من خلال دراسة عادات وعقائد وأخلاق المجتمعات والتعرف على مختلف أقاليمها وثرواتها لمعرفة نقاط القوة والضعف لاستغلالها في الاحتلال، وعندما تم لهم ذلك راحوا يعملون على إضعاف المقاومة بإيهام

الناس أن الاستعمار قضاء وقدر فراحوا يشجعون التصوف والزوايا ويسعون لإصدار فتاوى تدعوا إلى الاستكانة والاستسلام لان ذلك هو قضاء الله.

2- **خطورة الاستشراق على العالم الاسلامي:**

لقد كان بعض المستشرقين جواسيس والبعض الآخر كان له نشاط مشبوها مثل المستشرق "ماسنيون" الذي عكف على دراسة التصوف والتشيع وأنجز دراسة عن الحلاج بالجوسسة [47]، وكثير من المستشرقين ركزوا على دراسة الفرق الدينية الضالة وعلى الحوادث التاريخية التي تمثل نكسات وأخطاء في التاريخ الإسلامي، والشخصيات التي تثير الشبهات وذلك ليجدوا منها مدخلا على الإسلام.

ونشير هنا إلى أن الاستشراق يعد من أهم وسائل التنصير فمن خلال الطعن في الإسلام كانوا يخدمون الكنيسة، فالمستشرقين حاولوا التشكيك بصحة رسالة الرسول (ص) ومصدرها الإلهي، وأنكروا النبوة وادعوا أن الدين الإسلامي مستوحى من اليهودية والنصرانية، وبعض المستشرقين كانوا من اليهود ومنهم "شاخت" و"جولد تسيهر"، وقد حاول هؤلاء التشكيك في صحة الأحاديث النبوية وفي الفقه الإسلامي، وفي قدرة اللغة العربية على مواكبة التطور العلمي، والتشكيك في قيمة التراث الحضاري الإسلامي وأنه منقول من الحضارة الرومانية واليونانية، كما حاولوا إضعاف روح الإخاء الإسلامي وبعث الحركات القومية [48].

سادسا: مراحل تطور التنصير:

مما يدل على الهجمة الشرسة الإمكانيات الهائلة التي أصبحت تمتلكها الكنيسة حيث أنه بمقارنة بسيطة حول تطور نشاط الكنيسة بين 1902 و1911 يظهر النشاط الكبير التي تقوم به، ففي سنة 1902 كانت أعداد المبشرين 98388 من البروتستانت الأوربيين، وبلغ عدد المعاهد حول العالم 16671 وعدد إرساليات التبشير 3478، وكانت عدد المدارس اللاهوتية 81 ثم أصبح عددها 522 في 1911 تخرج منها 12761 مبشر، أما المدارس الثانوية فقد كان عددها 1594 ثم أصبح عددها 1714 وظهرت إلى الوجود 88 جامعة لم تكن موجودة من قبل، أعداد المدارس الابتدائية هي الأخرى تزايد من 28901 إلى 30185 وأصبح عدد المستشفيات 576 بعد أن كان 550 في سنة 1902، وقد تخرج في سنة 1911 ما يقارب 1412044 بين طلبة وأساتذة [49].

هذه الإمكانيات كانت تتوفر للكنائس في سنة 1902 فما بالك بما تملكه الكنيسة اليوم فقد راهنت الكنيسة منذ بداية التنافس الاستعماري على إفريقيا من أجل إدخالها في المسيحية، ويبدوا أنها قد قطعت شوط كبيرا، ففي بداية القرن 19 كان الإسلام هو الدين السماوي الوحيد في إفريقيا مع استثناء أقليات مسيحية في إثيوبيا، بينما غالبية سكان إفريقيا كانوا يعتنقون ديانات روحانية ووثنية .

واليوم أصبح الإسلام في المرتبة الثانية بعد المسيحية ومع ذلك فان الكنيسة لا تزال غير راضية على هذه النتائج، فقد وضعت المؤسّسات الكنسية الكبرى، وفي مقدمتها مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان، مخططاً لتنصير القارة الإفريقية، وفي هذا الشأن نظّم الفاتيكان مؤتمر روما التنصيري في 19 فبراير 1993م تحت شعار "تنصير إفريقيا عام 2000م"، حيث خصّص ميزانية أولية لهذا الغرض قدرها 5، 3 مليارات دولار لأجل نشر المسيحية في إفريقيا .

لقد تحقّق قرابة نصف هدف الفاتيكان تقريباً في إفريقيا جنوب الصحراء، حيث بلغ عدد النصارى في إفريقيا جنوب الصحراء - وفق بعض التقديرات الكنسية - 516 مليون مسيحي، بنسبة 62، 7% عام 2010م، مما يعني أن الإقليم به ثالث أكبر كتلة مسيحية على مستوى العالم بنسبة 23، 6%، أي قرابة ربع مسيحيي العالم [50] . (أنظر الشكل 2).

وبشكل عام فان التنصير كان ولا يزال خطرا كبيرا على المجتمعات الاسلامية ورغم أن المنصرين لم يحققوا أهدافهم في العالم الاسلامي، إلا أنهم توسعوا في الاماكن التي كانت من المفترض ان يمتد إليها الاسلام خاصة في إفريقيا وفي الهند والصين...، واليوم مجتمعات باكملها اصبحت مسيحية، وإذا كان رسول الله قد حزن لمرور جنازة يهودي من امامه وقال نفس أفلتت مني إلى النار، فنحن يجب أن نحزن على مئات الملايين الذين تم تنصيرهم في إفريقيا وآسيا، ولكن مع ذلك فهناك أمل يلوح لنا يتمثل في تقدم الاسلام في أوربا وإفريقيا جوب الصحراء وإرتفاع أعداد الاوربين الذين يدخلون في الاسلام.

قائمة المراجع:

الكتب:

- إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، 2006.
- أنور الجندي، التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة موسوعات مقدمات العلوم والمناهج، المجلد الخامس، دار الانصار القاهرة، 1984
- إسماعيل أحمد عمايرة، المسترقون وتاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، دار حنين عمان الاردن، ط2، 1992.
- الإلوري آدم عبد الله، «الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفاني »، الطبعة الثالثة، 1987 .
- أ . ل شاتليه، الغارة على العالم الاسلامي، ترجمة ساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط2، جدة، المملكة العربية السعودية، 1949 .
- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشاطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.

- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن، الدار العربية للكتاب: تونس، 1992، ج2
- جوزيف جوان، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة،، 1984
- ديفدسون بازيل، إفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول ومحمود شوقي الكيال، الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة
- عبد الرحمان حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير – الاستشراق – الاستعمار، دار القلم دمشق، ط8 2000
- عبد الرحمان عميرة، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراف، دار الجيل بيروت 1999
- عبد العزيز الكحوت، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، ط2، 1992
- عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة 2002 .
- المراكشي ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983
- محمد إسماعيل علي، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: مدخل علمي لدراسة الاستشراق، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط3، 2000
- محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة، دمشق، ط2، 2002
- مصطفى السباعي «الاستشراق والمستشرقون» المكتب الإسلامي، بيروت، ط2،
- مصطفى الخالدي وعمر فروخ التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1953
- النملة علي بن إبراهيم الحمد، التنصير، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، مكتبة التوبة: الرياض، ط2، 1998

المجلات باللغة عربية:

- بدر حسين شافعي مستقبل التنصير في إفريقيا مجلة قراءات إفريقية، العدد الرابع عشر من مجلة قراءات إفريقية، أكتوبر – ديسمبر 2012م.
- عبد الرحيم الجزائري، تاريخ حركة التنصير في الجزائر: شواهد وحقائق، مجلة العصر عدد بتاريخ 2004/10/5.

المجلات باللغة الأجنبية:

Jean Moncelon Le Secret De Louis Massignon .les cahier D'orient Et D'occident 2006, pp1- 8.



الشكل 1: التكالب الاستعماري على إفريقيا في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين



الشكل 2: الاديان في إفريقيا

http: //www.metransparent.com/spip.php?article17239

الهوامش:

---

1 أ . ل شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي ترجمة ساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط2، جدة، المملكة العربية السعودية، 1949، ص29.

2 إسماعيل أحمد عمايرة، المسترقون وتاريخ صلتهم بالعربية: بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، دار حنين عمان الاردن، ط2، 1992، ص 29.

3 عبد الرحمان حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير – الاستشراق – الاستعمار، دار القلم دمشق، ط، 8 2000، ص29– 30.

4 تجدر الإشارة إلى أن الحبشة كانت أول منطقة تدخلها النصرانية وذلك في العهد الروماني وانتشرت النصرانية بعد ذلك في اليمن لتصل إلى نجران شمالا.

5 عبد الرحمان حبنكة الميداني، المرجع نفسه، ص64– 63.

6 أ . ل شاتليه، المرجع السابق، ص33.

7 تأسست دولة المرابطين على يد الأمير يحيى بن إبراهيم والفقيه عبدالله بن ياسين، وبعد وفاة عبدالله بن ياسين سنة 451 هـ (1059م) تولى الأمير أبي بكر بن عمر زعامة المرابطين جامعا بذلك بين الإمامة والإمارة، ومع مرور الوقت أصبح ابن عمه يوسف بن تاشفين ساعده الأيمن قائدا قويا، وعندما توجه أبي بكر بن عمر نحو الجنوب لنشر الإسلام أصبح يوسف بن تاشفين هو الزعيم الفعلي للمرابطين سنة 469 هـ (1076م)، ينظر: ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة: بيروت، ط3، ج 4، 1983، ص 8

8 تذكر الروايات القديمة أن قبائل "السونيك" كانت تعيش بين نهر السنغال ونهر النيجر وقد تعرضت لغزوات البربر القادمين من الشمال والذين امتدوا جنوبا بسبب ضغط التوسع الروماني على الأرجح وذلك في القرن الرابع الميلادي، وقد حدث امتزاج حضاري بين قبائل "السونيك" و"البربر" ونتج عن ذلك تأسس مملكة غانا، وكلمة "غانا" تعني بلغة "الماندي" أمير الجيوش، وقد ضلت مملكة غنا موجودة حتى قضى عليها المرابطون، ينظر: جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وامبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط3، 1984، ص51- 53

9 تأسست مملكة مالي على يد قبائل "الماندیجو" التي انفصلت عن مملكة غانا سنة 1230م تحت قيادة "سوندياتا كيتا" وتوسعت حتى أصبحت أكبر من مملكة غانا، فقد امتدت من ساحل المحيط الأطلسي غربا إلى ما وراء تخوم منحى نهر النيجر بالشرق، ومن حقول الذهب في غينيا إلى محيط القوافل التجارية عبر الصحراء بالشمال، وبلغت دولة مالي أوج قوتها في عهد " مسني موسى" سنة (1307- 1332 ثم دخلت بعد ذلك في مرحلة الضعف، وسقطت على يد "الصونغاي"، ينظر: بازيل ديفدسون، إفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول ومحمود شوقي الكيال، الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة، 2001، ص31

10 يعود أصل "الصونغاي " إلى قبيلة بربرية تدعى "ضيا "كانت تعيش قرب نهر النيجر وقد تأسست م"ملكة سونغاي "سنة 1010م وكانت في البداية تابعة لمالي، وقد جعلوا مدينة غاو على نهر النيجر عاصمة لهم في الوقت الذي كانت تومبكتو عاصمة مملكة مالي، استمرت هذه المملكة في التواجد حتى سنة 1400 حكمت فيها ثلاث اسر هي أسرة "ضيا" إلى غاية سنة 1400م ثم أسرة "سني" القوية التي استطاعت ضم مملكة مالي وتوسعت بشكل كبير في عهد الملك على الأكبر، ثم أسرة "الاسكيا" التي حكمت سنة 1493 وأول حكامها هو "الاسكيا محمد"، وقد سقطت هذه المملكة على يد احمد المنصور الذهبي سلطان السعدين في مراكش سنة 1589م، ينظر: جوان جوزيف، المرجع السابق، ص 85

11 "مملكة كانم": هي إحدى الممالك التي ظهرت في منطقة وسط أفريقيا خلال الفترة من القرن الأول وحتى القرن الثامن الهجري وهي تقع إلى الشمال من بحيرة تشاد، يذكر البكري أن بينها وبين واحة زويلة أربعون مرحلة، ينظر: البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن، الدار العربية للكتاب: تونس، 1992، ج2، ص 658

12 عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع: القاهرة 2002، ص4- 10

13 أ . ل شاتليه، المرجع السابق، ص35.

14 الكاردينال شارل مارسال ألمان لافيجري كان مطران الجزائر وكبير الأساقفة ومبعوث الباب إلى الصحراء الكبرى كان حلمه تحويل إفريقيا إلى المسيحية، أنظر: عبد العزيز الكحوت، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط2، 1992، ص35.

* أرسلت الجمعية الجغرافية الملكية في بريطانيا كلا من لفستون وستانلي في مهمة اكتشاف منابع النيل، وفي "أوغندا" وجد المستكشف "ستانلي" أن الملك "موتيسًا" وحاشيته قد اعتنقوا الإسلام، فانزعج "ستانلي" وقام بإرسال خطاب إلى جريدة "الديلي تلغراف"، دعا فيه إلى سرعة إرسال المنصرين والإرساليات، وخاصة من بريطانيا. وركز على عدم تأثير الوعظ وحده فحسب على شعب يوغندا،

وركز على ضرورة إيجاد المعلم النصراني الخبير المتمرس الذي يستطيع أن يعلم أفراد الشعب كيف يصبحون نصارى، فيعالج مرضاهم ويبني لهم المساكن، ويعلم الأهلين الزراعة، ويوجه يده إلى أي شيء "كما يفعل الملاح"، مثل هذا الرجل سيصبح منقذ أفريقيا من الإسلام، وتحت تأثير هذا الخطاب جمعت 2400 جنيه إسترليني من التبرعات، وقد وزِّع المبلغ على الجمعيات التنصيرية ومنه أرسلت الإرساليات، كما كان من تأثيره قيام جمعيات تنصيرية في وسط أفريقيا وشرقها، ينظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة، التنصير، مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، الثانية، 1998، مكتبة التوبة: الرياض، ص69

15 نفسه، ص35- 39

16 نفسه، ص 294.

17 جاء في نص وثيقة الاستسلام التي حررها قائد الحملة الفرنسية ووقعها "الداي حسين": "تعطى الحرية للديانة المحمدية وللمكاتب الأهلية ولديانتهم مع احترام تقاليدهم وأملاكهم وتجارتهم وصنائعهم، وأن لا يعارضوا في ذلك وأن لنسائهم الاحترام التام ومزيد الاعتبار، ويقسم الجنرال على ذلك بشرفه.

18 عبد الرحيم الجزائري- تاريخ حركة التنصير في الجزائر: شواهد وحقائق مجلة العصر عدد بتاريخ 2004/10/5 http: //www.almoslim.net/node/96924

19 إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشاطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 110

20 بذل لافيجري جهوداً جبارة في تنصير الأطفال الجياع وعندما فشل فصرح: يجب إنقاذ هذا الشعب، وينبغي الإعراض عن هفوات الماضي، ولا يمكن أن يبقى محصوراً في قرآنه.. يجب أن تسمح فرنسا بأن يقدم له الإنجيل، أو تطرده إلى الصحاري بعيداً عن العالم المتمدن، ثم قام بإنشاء فرقة خطيرة كان لها دور أسود في تاريخ الجزائر هي فرقة "الآباء البيض" سنة 1869م وهذه الفرقة هي التي ستأخذ على عاتقها مهمة تنصير الجزائر أولاً، ثم تونس والمغرب ثانياً، ثم إفريقيا أخيراً، وإعادة أمجاد الكنيسة الإفريقية!!!، وبالموازاة أسس حركة "الأخوات البيض" التي حملها مسؤولية تنصير النساء عن طريق التطبيب والتعليم والخدمات الخيرية.

21 إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 110- 115.

22 أ . ل شاتليه، المرجع السابق، ص37

23 أ . ل شاتليه، المرجع السابق، ص58.

24 جميل عبدالله محمد المصري، حاضر العالم الإسلامي: وقضاياه المعاصرة، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، 1986، ص671

25 أ . ل شاتليه، المرجع السابق، ص60، 79.

26 إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 111.

27 أ . ل شاتليه، المرجع السابق، ص113.

28 أنور الجندي، التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة موسوعات مقدمات العلوم والمناهج، المجلد الخامس، دار الانصار القاهرة، 1984، ص 47- 48.

29 عبد الرحمان عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراف، دار الجيل بيروت 1999، ص24.

30 من الغريب في الأمر أن "صمويل زويمر" الذي قاد مؤتمرات التبشير وكرس حياته لها هو في الاصل يهودي حيث عند احتضاره دعى حاخاما لتلقينه في ساعاته الأخيرة وذلك سنة 1952، أنظر: عبد المجيد المحتسب اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص 11، سعد آل الحميد، أهداف الاستشراق ووسائله، ص5.

31 عبد الرحمان عميرة، المرجع السابق، ص 35- 36.

32 أ . ل شاتليه، المرجع السابق، 1949، 294.

33 مصطفى الخالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1953، ص 166- 167.

34 مصطفى الخالدي وعمر فروخ، المرجع نفسه ص3.

35 عبدالعزيز الكحوت، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، ط2، 1992، ص 36

36 عبد الرحمان عميرة، المرجع السابق، ص 21- 23.

37 مصطفى الخالدي وعمر فروخ، المرجع السابق، ص34.

38 أ . ل شاتليه، المرجع السابق، ص109.

39 أ . ل شاتليه، نفسه، ص125- 134.

40 مصطفى السباعي «الاستشراق والمستشرقون» المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، ص 16- 17.

41 الإلوري آدم عبد الله، «الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفاني »، الطبعة الثالثة، 1987، ص150.

42 إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، 2006،، ص 80.

43 محمد: إسماعيل علي، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: مدخل علمي لدراسة الاستشراق، (دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط3، 2000، ص 31.

44 يجب أن نميّز في المستشرقين أناساً أصحاب حياد وإنصاف، قاموا فعلاً بأبحاثهم بتفكير حيادي موضوعي يبغي الحقيقة، ومن هؤلاء: الفرنسي "اتييان دينيه" الذي دخل في الإسلام وسمى نفسه باسم " ناصر الدين دينيه " وكان فناناً مرهف الحس الفني والعلمي، فاطلع على الإسلام وأعلن اعتناقه إياه، وكانت له إصدارات إسلامية منها: "أشعة خاصة بنور الإسلام"، و" محمد رسول الله "، و" الحج إلى بيت الله الحرام ".ومنهم: "موريس بوكاي" مستشرق منصف أَلَفَ كتاباً عن القرآن والعلم الحديث بالفرنسية، تُرجم إلى العربية بعنوان: " دارسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" ومنهم: " توماس أرنولد " الذي أنصف المسلمين في كتابه العظيم: "الدعوة إلى الإسلام " فقد برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، ومنهم السيدة الألمانية: " زغريد هونكه " صاحبة كتاب " شمس الله تسطع على الغرب " انظر: مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 23- 30.

45 عبد الرحمان حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص 53- 54.

46 مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص 21- 23.

47 Jean Moncelon Le Secret De Louis Massignon ،les cahier D'orient Et D'occident, 2006, pp1-8.

48 مصطفى السباعي، المرجع نفسه، ص 25- 33.

49 أ . ل شاتليه، المرجع السابق، ص110- 113.

50 بدر حسين شافعي، مستقبل التنصير في إفريقيا مجلة قراءات إفريقية، العدد الرابع عشر من مجلة قراءات إفريقية، أكتوبر – ديسمبر 2012م .